ألف حكاية وحكاية (٦٨)

ميزان العدل

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رسـوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر

رقم الإيداع ٢٢١٣ / ٩٩

ميزان العدل

أسرعْتُ يومًا إلى المنزلِ شاكيًا من حسام زميلي في الملعبِ ، فأخرجَتْ أمي ميزانًا قديمًا ، وقِطعَ المكعباتِ الخشبيةِ التي ألعبُ بها، وقالَتْ:

"سنلعبُ لعبةً جميلةً: سنضعُ قطعةً من المكعباتِ الخشبيةِ في هذه الكفَّةِ من الميزانِ تُمثِّلُ عيبًا من عيوبِ حسام ، وعليكَ الآنَ أنْ تُعدِّدَ هذه العيوبَ."

فأخذْتُ أذكرُ لأمِّي عيوبَ حسام ، وكلما ذكرْتُ عيبًا ، وضعَتْ أمي مكعبًا في كفَّةِ الميزانِ.

ثم قالَتْ أمِّي: "والآنَ ، اذكرْ لي مزايا حسامٍ . ولكلِّ ميزةٍ نضعُ في كفَّةِ الميزانِ الأخرى مكعبًا."

وبدأَتْ أمي تُساعدُني على تذكُّرِ مزايا حسام ، فقلْتُ:

"هو يسمحُ لي أنْ أركبَ دراجتَهُ ، ويقتسمُ معي قطعَ الحلوى التي تكونُ معه."

وأخذْتُ أعدِّدُ مزايا حسام ، وأمِّي تضعُ في الكفةِ مكعبًا مقابلَ كُلِّ مزيةٍ.

وأخيرًا ، وجدْتُ نفسي أضحكُ ، فقد أصبحَتْ كفةُ مزايا حسام أثقلَ كثيرًا من كفَّةِ عيوبهِ!

ظلَّتْ حادثةُ الميزانِ هذه في ذاكرتي لا أنساها ، حتى أصبحْتُ لا أنتقدُ أحدًا إلاَّ وأتذكَّرُ الميزانَ والمكعباتِ ، وأوازِنُ دائمًا بين الحسناتِ والسيئاتِ.



وضاعت الدجاجتان

جاءَ في كتابِ "حياة الحيوان" أن الشافعِيَّ قال:

كُنَّا في أرضِ اليمنِ ، فوضَعْنا طعامَنا لنتعشَّى . وجاءَ موعدُ صلاةِ المغربِ ، فقُمْنا نُصلِّي ثم نتعشَّى . فتركْنا الطعامَ كما هو وقُمْنا إلى الصلاةِ ، وكان فيه دجاجتانِ ، فجاءَ ثعلبٌ وأخذَ إحدى الدجاجتَيْنِ وهربَ .

فلمَّا قضَيْنا الصلاةَ ، اكتشَفْنا ضياعَ الدجاجةِ ، وأسِفْنا عليها . وفجأةً عادَ الثعلبُ وفي فمِهِ شيءٌ كأنَّهُ الدجاجةُ ، وتركَهُ على بُعْدٍ مِنَّا . وأسرَعْنا إليه لنأخذَهُ ، ونحن نحسبُهُ قد أعادَ الدجاجةَ التي أخذَها .

فلمَّا قُمْنا ، جاءَ دونَ أن يراهُ أحدٌ إلى الدجاجةِ الثانيةِ ، وأخذَها من بَيْنِ الطعامِ ، واختفَى .

ورجَعْنا إلى ما أعادَهُ ، فوجَدْناهُ قطعةً من الليفِ قد جعلَ شكلَها مثلَ الدجاجةِ !!



الذئب الذى احترم الصدق!!

هذه حكايةٌ عن ذئبٍ حكيمٍ ، حدثَتْ فى مساءِ يَوْمٍ لم يكُنْ يشعرُ فيه بالجوعِ . لقد قابلَ شاةً بمُفْرَدِها ، فاشتدَّ رعبُها منه . لكنَّ الذئبَ اقتربَ منها ، وقالَ بصوتٍ حاولَ أن يجعلَهُ رقيقًا : "لا تخافي أيَّتُها الشاةُ العزيزةُ .. أنتِ حُرَّةٌ فى الذهابِ إلى حيثُ تُريدينَ ، لكنني أريدُ أن أعرفَ أولاً مقدارَ حرصِكِ على قَوْلِ الصِّدْقِ : أخبريني بأوَّلِ ثلاثِ خواطِرَ طرأتْ على ذهنِكِ عندَما فوجئْتِ برؤيتي ".

هنا تردَّدَتِ الشاةُ ، لكنها فقدَتِ الأملَ فى النجاةِ ، فقالَتْ : "إذا كنْتُ قد رأيتُكَ اليَوْمَ ، فأنا لم أكنْ أتمنَّى أن أراكَ أبدًا !!"

قالَ الذئبُ وهو يكادُ يضحكُ : "هذا طريفٌ حقًّا .!! والآنَ لنستمعْ إلى ما مرَّ بَعْدَ ذلك فى خاطرِكِ ."

قالَتِ الشاةُ : "لقد تمنَّيْتُ أيضًا أن تفقدَ بصرَكَ ، فلا ترى أمثالي أبدًا ."

ثم أغمضَتْ عينَيْها ، مُتوقِّعةً أن تكونَ تلكَ هى نهايتَها . لكنَّها سَمِعَتِ الذئبَ يقولُ : "وماذا عن الشَّيْءِ الثالثِ الذى جاءَ فى خاطرِكِ ؟"

فتحتِ الشاةُ عينَيْها ، وقالَتْ في شجاعةِ اليائسِ : "أريدُ أن أرى نهايتَكَ ، ونهايةَ كُلِّ ذئبٍ قاتلٍ مثلِكَ !!"

وكتمَ الذئبُ غيْظَهُ وقالَ : "أنتِ صادقةٌ بغيرِ شكٍّ ، ويُمكنُكِ أن تذهبي .. أنتِ حُرَّةٌ !!"

قالَتِ الشاةُ لنفسِها غيْرَ مُصدِّقةٍ : "هل احترمَ الذئبُ الصدقَ حقًّا ، أم الأمرُ ببساطةٍ أنه اليَوْمَ غيْرُ جائعٍ؟!"



سيسترد حقه !!

كانَ جحا ينظرُ من نافذةِ بيتِهِ ، فرأى رجلاً يقتربُ من بابِ البَيْتِ ، فقالَ لزوجتِهِ :

"لقد جاء هذا الرجلُ يُطالِبُنى بدَيْنٍ لم أدفعْهُ له ، فاذهبى إلى البابِ ، واجعليهِ ينصرفُ ."

وفتحَتِ الزوجةُ البابَ ، وقالَتْ للدائنِ : "خُذْ منِّى وَعْدًا مُؤَكَّدًا أننا سنُسدِّدُ لك دَيْنَكَ فى أقربِ وقتٍ ."

قالَ الرجلُ ساخرًا : "هل تطولُ المُدَّةُ ؟!"

فكَّرَتِ المرأةُ بسرعةٍ ، ثم قرَّرَتْ أن تذكرَ ما طرأ على خاطرِها ، قالَتْ : "كلا .. فإن قطيعًا من الغنمِ بدأ يمرُّ كُلَّ يَوْمٍ من أمامِ بَيْتِنا ..



وأثناءَ مرورِهِ ، يسقطُ من الغنمِ صوفٌ كثيرٌ ، نجمعُهُ ، ونغزلُهُ ، ونصنعُ منه خيوطًا نبيعُها ، وسنُسدِّدُ لكَ دَيْنَكَ من ثمنِها ، فنحن لا نأكلُ حقوقَ الناسِ !!"

وكانَتِ الزوجةُ تتحدَّثُ بلهجةٍ جادَّةٍ ، كأنها اكتشفَتْ منجمًا من مناجمِ الذهبِ ، فانفجرَ الرجلُ ضاحكًا بعدَ أنْ كانَ غاضبًا .

وسمعَ جحا قهقهتَهُ ، فاقتربَ من البابِ ، ورفعَ صَوْتَهُ قائلاً:

"طبعًا .. لكَ كلُّ الحقِّ في أن تضحكَ ، فقد ضمنْتَ أخيرًا استردادَ حقِّكَ !!"



النافذة المختلفة

سارَ السائحون خلفَ الدليلِ ، يتأمّلونَ نوافذَ الزجاجِ الملوّنِ في القصرِ الأثريِّ الكبيرِ . كانَتْ أشعةُ الشمسِ تسطعُ على النوافذِ من خارجِ البناءِ ، فتنعكسُ الألوانُ على القاعاتِ الفسيحةِ داخلَ البناءِ ، فتُعطِي المكانَ جوًّا من الهدوءِ والسكينةِ والجمالِ .

وفجأةً توقّفَ الدليلُ والزائرون أمامَ نافذةٍ ، أحسَّ الجميعُ أنها تختلفُ عن بقيّةِ النوافذِ بروعةِ جمالِها . لم تكُنْ قِطَعُ الزجاجِ المُثبّتةُ بجوارِ بعضِها تُعطِي شكلاً واضحًا لشخصٍ أو لشيْءٍ ، لكنَّ النافذةَ كانَتْ مع ذلك تجذبُ العَيْنَ وتأسرُ النفسَ وتُثيرُ التأمُّلَ .

وأحسَّ الدليلُ بما ملأ نفوسَ الزائرينَ من إعجابٍ ، فحكَى لهم قصةَ تلك النافذةِ ، قالَ :

"عندما كانَ عشراتُ العمالِ يعملونَ في إعدادِ نوافذِ هذا القصرِ ذاتِ الزجاجِ الملوّنِ ، وصلَ أحدُ كبارِ الفنّانينَ ، وشاهدَ كمّياتٍ كبيرةً من قِطَعِ الزجاجِ المُحطّمةِ ، قد ألقاها العمالُ لأنهم لم يجدوا لها فائدةً . وخطرَتْ للفنّانِ فكرةٌ رائعةٌ .. وامتدَّتْ يدُهُ الموهوبةُ إلى القِطَعِ الصغيرةِ المُهمَلةِ من الزجاجِ الملوّنِ ، ليُحوّلَها إلى نافذةٍ غايةٍ في الروعةِ والإبداعِ ."

وأنهى الدليلُ حكايتَهُ قائلاً : "لقد استرعَتْ هذه النافذةُ أبصاركم لأنها من خَلْقِ فنّانٍ مُبدِعٍ .. أما بقيَّةُ النوافذِ ، فليسَتْ إلا من عملِ صُنّاعٍ ماهرينَ !!"

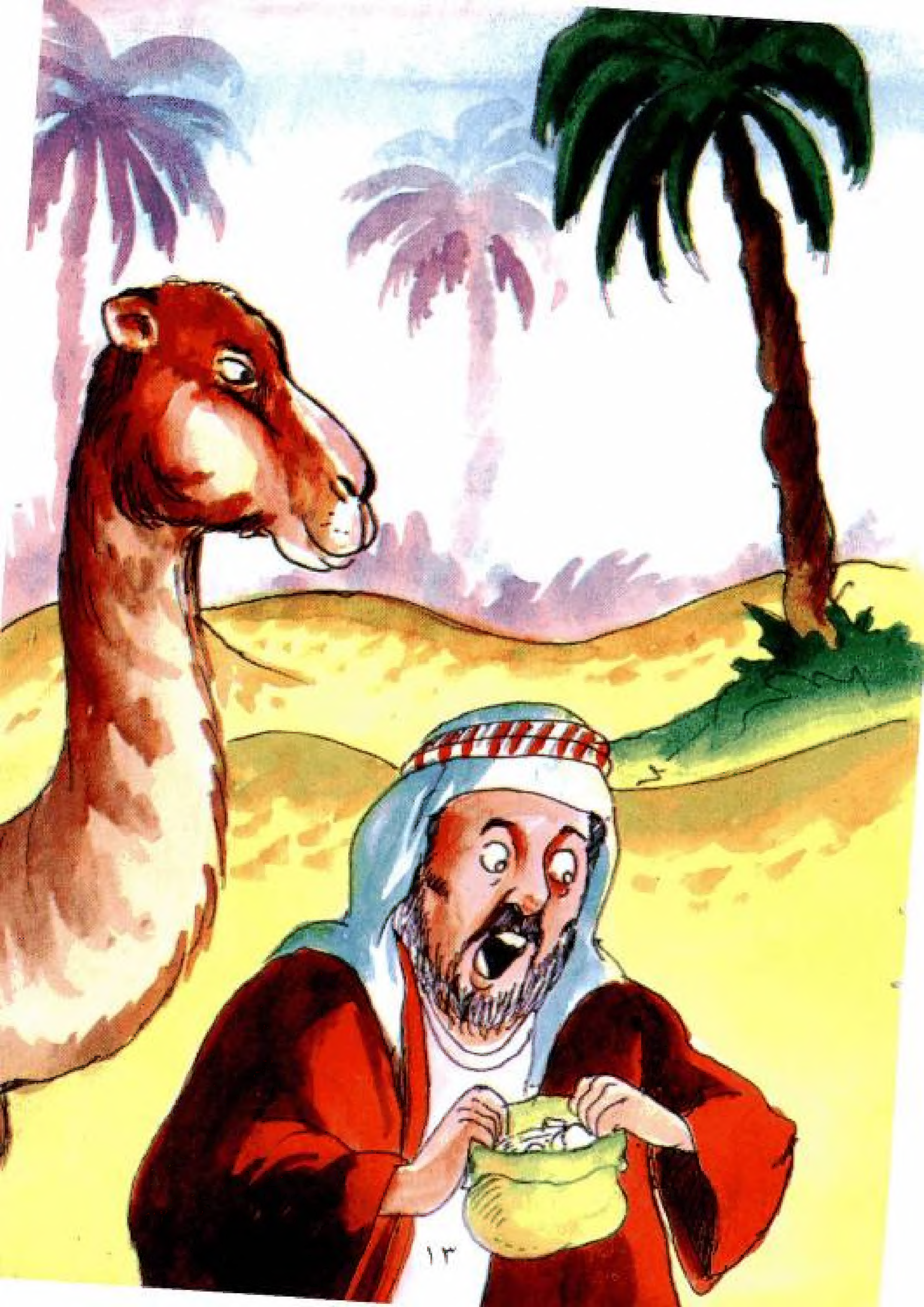


اللبن في معدة شاة!!

منذُ زمنٍ بعيدٍ ، كانَ هناكَ أعرابيٌّ يُسافِرُ في الصحراءِ ، لا يُرافِقُهُ إلا ناقةٌ صبورٌ ، تمضغُ بغيرِ توقُّفٍ ما تجترُّهُ من طعامٍ . وكانَ مع الأعرابيِّ هو الآخرِ طعامُهُ ، فقد وضعَ بعضَ لبنِ الناقةِ في كيسٍ صنعَهُ من معدةِ شاةٍ . وخلالَ رحلتِه ، فتحَ الكيسَ ، فاكتشفَ وجودَ قِطعٍ سميكةٍ بيضاءِ اللَّوْنِ قد انفصلتْ عن اللبنِ ، أصبحْنا نُسمِّيها الآنَ "الجبن". أما بقيةُ اللبنِ ، فقد أصبح سائلاً شِبْهَ مائيٍّ . وهكذا اكتشفَ ذلكَ الأعرابيُّ ، بطريقِ الصدفةِ ، طريقةَ صنعِ الجبنِ .

لقد كانَ هناكَ سببانِ في تحويلِ اللَّبنِ إلى جبنٍ : السببُ الأولُ أن الشمسَ أدفأتْ كيسَ اللبنِ خلالَ الرحلةِ . أمَّا السببُ الأهمُّ ، فقد كانَ الكيسَ المصنوعَ من معدةِ الشاةِ والذي يحتوي على عصائرَ هاضمةٍ مُجفَّفةٍ . هذه العصائرُ الهاضمةُ كانَ من بينِها الخميرةُ التي نُسمِّيها "منفحة" اللازمةُ لصنعِ الجبنِ ، والتي لا نزالُ نستخدمُها حتى اليومِ.

أخبرَ المُسافِرُ العربيُّ أصدقاءَهُ عن اكتشافِهِ ، فنقلوه بدَوْرِهم إلى آخرينَ ، وهكذا ظلَّ الناسُ ، لمدةِ أربعةِ آلافِ سنةٍ ، وحتى أيامِنا هذه ، يصنعونَ الجُبْنَ ، بعد أن أصبحَ استخدامُهُ كطعامٍ عادةً غذائيةً انتشرَتْ بسرعةٍ في جميعِ أنحاءِ العالمِ . وكانَ السببُ في هذا الانتشارِ السريعِ ، أن اللبنَ يفسدُ بسرعةٍ . لكنْ عن طريقِ صناعةِ الجبنِ ، أمكنَ للناسِ أن يحتفظوا بالموادِّ الغذائيةِ النافعةِ في اللبنِ لفتراتٍ طويلةٍ .



كم عدد النخل؟

خلالَ فتراتٍ طويلةٍ من التَّاريخِ الإسلاميِّ ، اعتادَ القُضاةُ أن يجلسوا في المساجدِ للفصلِ في الخصوماتِ .

وذاتَ مرَّةٍ ، اختلفَ جارانِ حولَ ملكيةِ حقلٍ فيه نخل ، فذهبا إلى القاضي ، وكلٌّ منها معَهُ شهودُهُ .

سألَ القاضي الشُّهودَ : "كم عددُ النَّخلِ في ذلك الحقلِ ؟"

فلم يعرفوا ، فرفضَ سماعَ شهادتِهم .

فقالَ أحدُ الشُّهودِ للقاضي:

"منذُ ثلاثينَ سنةً ، وأنتَ تتخذُ مجلسَ القضاءِ في هذا المسجدِ ، فكم خشبةً في سقفِهِ ؟"

وسكتَ القاضي ، لكنَّه عرفَ أنَّ الشَّاهدَ حتى إذا لم يكنْ يعرفُ عددَ النخل ، فإنه يستطيعُ معرفةَ مَنِ الذي يملكُ حقلَ النخل.





حرية اختيار

أمرَ أحدُ الملوكِ بقتلِ أعرابِىٍّ ، فالتمسَ الأعرابِىُّ أن يعفُوَ الملكُ عنه ، فأجابَهُ الملكُ : "لن أعفُوَ عنك .. لكن لكى تعرفَ مدى رحمتى ، سأتركُ لكَ حريةَ اختيارِ الطريقةِ التى تموتُ بها !!"

فأجابَ الأعرابِىُّ : "إذن .. اتركْنى أمُتْ من الشيخوخةِ !!"

فضحكَ الملكُ ، وخفَّفَ عقوبتَهُ !!



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها من الأدب الشعبى والعربى القديم والعالمى